بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة بعنوان

تكنولوجيا الاتصال
وتأثيراتها على الجمهور العربي
(بالتركيز على فئة الشباب)

إعداد

د . مجذوب بخيت محمد توم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مقدمــة :

الشباب هو الأكثر تأثراً بتكنولوجيا الاتصال ، وهو الأكثر تعاطياً معها ، ولاريب أن مجتمعات الدول النامية وبالأخص دولنا الإسلامية والعربية تقع تحت تأثير المعلومات الآتية عبر تقنية الاتصال .

تعتبر تكنولوجيا الاتصال الساعد الذي يحمل مفاهيم و تيارات العولمة ليؤثر من خلالها على المجمع بشرائحه المختلفة خاصةً فئتي الأطفال والشباب ، ولما كانت أهم الوسائل الموصلة لتلك المعلومات هي وسيلتي القنوات الفضائية التلفزيونية والإنترنت لذا كانتا محوري تناولنا لتكنولوجيا الاتصال .

المحور الأول : القنوات الفضائية التلفزيونية : التيتمثل معولاً نافذاً وموصلاً للمعلومات ، ذلك بتناول تأثيرات تلك القنوات على الجمهور العربي ، خاصة فئة الشباب . وكذلك الأطفال من خلال برامجها الموجهة إليهم باعتبارهم شباب الغد ولبنة المجتمع . على أن يتم التركيز على القنوات الفضائية العربية .

المحور الثاني : **الإنترنت** : كوسيلة اتصال جماهيري لها خصوصيتها وتأثيراتها الإيجابية والسلبية على الشباب .

وبطبيعة الحال فإن تكنولوجيا الاتصال لم تتأثر بها فئة الشباب وحدها ، بل عم ذلك التأثير فئات المجتمع قاطبة ، وعليه كان علينا أن نعمم في كثير من الأحيان وفقاً لذلك .

أسأل الله أن يهبنا قولاً سديداً ، فهو ولينا والقادر على تصويب زللنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القنوات الفضائية التلفزيونية

نشأة القنوات الفضائية العربية :

رغم الانتشار الواسع والمتسارع للبث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الاصطناعية ، والذي غطى جميع قارات العالم ، وشمل جميع الدول ، غنيها وفقيرها ، فإن هذه التقنية لم تظهر إلا حديثاً ، (ففي يوليو من عام 1987م بدأت اليابان أول بث تلفزيوني عبر أقمار البث المباشر، وبذلك كانت أول دولة في العالم تستخدم أقمار البث المباشر في التلفزيون)[1].

لاشك أن هذا التطور قد فتح شهية دول العالم . والقائمين على الشأن الإعلامي على وجه الخصوص . إلى ولوج هذا المجال ، إلا أن ذلك التطور كان في بادئ الأمر مرهوناً بإمكانيات الدول ، ومدى تعاملها مع التقنية الجديدة ، وفرص إتاحتها .

وعلى مستوى الدول العربية تولد التفكير في إنشاء قمر اصطناعي خاص بالدول العربية ، ومن ثم عزم المختصون في مجال الاتصالات بهذه الدول على تحقيق هذا الهدف ، فتم إطلاق أول قمر اصطناعي عربي في التاسع من فبراير عام 1985م ، ثم أعقبه القمر الاصطناعي العربي الثاني في 18 يونيو من نفس العام .[2]

لقد استخدم القمر الاصطناعي العربي بادئ الأمر في التبادل البرامجي ، حيث نجحت أول تجربة لتبادل البرامج التلفزيونية بين تونس وجيبوتي ، وكان ذلك في يوم الاثنين 24 يونيو 1985م .[3]

وبإطلاق القمر الاصطناعي العربي صار الطريق ممهداً أمام الدول العربية لإحداث تطور هائل في مجال البث التلفزيوني في تلك الدول ، إذ أصبح من الميسور على التلفزيونات العربية بث برامجها مباشرة إلى جماهيرها في مناطق مختلفة من العالم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت مصر أول الدول المبادرة باستخدام التقنية الجديدة ، إذ قامت بإنشاء قناتها الفضائية التي بدأت بثها في عام 1991م ، وفي منتصف نفس العام بدأت محطة تلفزيون الشرق الأوسط mbc إرسالها من لندن .[4]

ثم توالت الدول العربية من بعد ذلك في تأسيس قنواتها الفضائية ، ففي عام 1992م بدأت ثلاث قنوات خليجية بثها ، الأولى من الكويت في أكتوبر ، والثانية من دبي في أكتوبر أيضاً ، والثالثة من أبي ظبي في نوفمبر . وفي فبراير من عام 1993م بدأت الفضائية الأردنية بثها ، كما بدأت قناة راديو وتلفزيون العرب art بثها من إيطاليا في أكتوبر 1993م .[5]

البيئة الاتصالية :

إن أهم التكنلوجيات التي عرفها الإنسان منذ الحرب العالمية الثانية ومابعدها قد ولدت من دوافع عسكرية وأن تلك التي لم تولد على هذا النحو سرعان ما وجهت لخدمة أغراض عسكرية ، هكذا الحال بالنسبة للطاقة النووية ، والرادار ، والأقمار الاصطناعية[6].

وإذا انتفت الاستخدامات العسكرية للأقمار الاصطناعية وتم استخدامها سلمياً من الدول الغربية من خلال قنواتها الفضائية ، فهذا لا يمنع الاستخدام العسكري ـ غير المباشر ـ لتلك القنوات في أيام الحرب كوسيلة للدعاية والحرب النفسية ، كما لا يمنع استخدامها في وقت السلم لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية وآيدولوجية على حساب مناطق انتشار تلك القنوات .

إذن يمكننا القول أن الأهداف الأساسية لتكنولوجيا الأقمار الاصطناعية أسهمت في وجود بيئة اتصالية مليئة بالكثير من المفاهيم والتعقيدات التي فرضت واقعاً يجب التعامل معه بحذر .

وعليه يمكن اعتبار أن البيئة الاتصالية التي تحيط بالقنوات الفضائية العربية ، بيئة مزدحمة بالمعلومات ذات الغرض والهدف ، وهي معلومات جيدة الإحكام ، آحادية الاتجاه ، مختلة في تدفقها ، محتكرة في نفعها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي بيئة مليئة بعناصر القوة التقنية و البشرية و المادية ، وتوجهها مؤثرات فكرية وعقائدية ، وكيانات للهيمنة الاستعمارية ، ونظم اجتماعية وفئوية .

وهي بيئة أيضاً تتمكن منها القبضة التحكمية ، وتشوبها الرؤى الآحادية ، وتسيطر عليها النظرة الاستعلائية .

وهي بيئة تعتريها تيارات العولمة ، بمفاهيمها الغربية ، وأبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية .

في تلك البيئة تعمل القنوات الفضائية العربية ، فتتلون موادها بما يحيط بها من مؤثرات ، ثم تشكل نسقاً إعلامياً جديداً ، تعصف عليه الأعاصير من اتجاهات عدة ، نسقاً ربما تذوب فيه موادها الإعلامية بالكلية ، أو ربما يبقى منها جلدها دون لحمها وعظامها .

ومن ثم فإنه من الصعوبة بمكان تجاوز الأثر الذي يمكن أن تحدثه تلك البيئة الاتصالية التي تعمل في خضمها القنوات الفضائية العربية .

هذا الأثر ينعكس على تلك القنوات من اتجاهين :

الاتجاه الأول : هو منافسة القنوات الفضائية الغربية على الجمهور العربي ، الذي يعتبر هو الجمهور الرئيس للقنوات الفضائية العربية ، وهذا يضعها أمامتحدٍ كبير ، هو إما أن ترتقي لمستوى المنافسة ، أو تتحمل نتيجة سحب البساط من تحت أقدامها .

والاتجاه الثاني : هو تأثير تلك البيئة في برامج القنوات الفضائية العربية نفسها ، فهي إما أن تصبح مقلدة للإعلام الغربي ، ربما في مظهره أولاً ، ثم في مضمونه ثانياً . أو تستقل بشخصيتها أولاً ، ثم تحملزمام المبادرة ثانياً .

إعداد الشباب يبدأ من الطفولة :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطفولة هي مرحلة التنشئة الاجتماعية الأولى وهي مرحلة ماقبل فترة الشباب وتشكيل الطفل ينعكس بطبيعة الحال على الشاب، وبدلاً من أن تقبل القنوات الفضائية العربية التحدي ، وتعمل على صد تيارات العولمة، نجدها هي الأخرى تقع تحت أسرها . ويبدو ذلك أكثر وضوحاً ، وأعمق تأثيراً من خلال برامج الأطفال التي تبثها تلك القنوات.

لقد أصبحت هناك شخصيات تطل على الأطفال ـ ليل نهار ـ من خلال القنوات الفضائية العربية ، كشخصية سوبرمان الأمريكية الشهيرة ، وشخصية ميكي ، وغيرها . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هذه الصور الكارتونية المحببة لدى الأطفال ، والتي تحمل في ظاهرها الطرفة والخفة ، فإن محتواها الفكري يحمل نمط الحياة الغربية ، ففي قصصها القيم السائدة هناك ، كالصديقة ، والعشيقة ، ومظاهر العنف ، وحب اللهو ، كما تبرز شخصية الغربي بأنه ذلك الرجل المقتدر المتفوّ ِق القوي.[7]

استغلال الصورة وتأثيراتها على الشباب :

لقد أضحت الصورة وسيلةً لُغويةً مؤثرةً ، وسلاحاً إعلامياً يمكن أن يستغني بنفسه دون ما حاجة إلى لغة مصاحبة ، بل باتت الصورة قادرة على تحطيم الحاجز اللُغوي[8].

رغم ذلك التأثير البالغ للصورة ، فإن أكثر استخدامات القنوات الفضائية العربية لها يتم من خلال المسلسلات العاطفية ، والأفلام ، والأغاني ، وجميعها تستهوي فئة الشباب .

فكان الأحرى بقنواتنا ـ على سبيل المثال ـ استخدام فنون الصورة في حمل الأحداث الوطنية والثقافية إلى خارج الحدود الجغرافية ، وعكس البطولات العربية في مناهضة الاستعمار، وإبداء ما تتمتع به البلاد العربية من إمكانات هائلة للتنمية ، وتعريف العالم بالركائز الثقافية للأمة الإسلامية و العربية ، والحديث عن هويتها ، ودعم وحدتها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يمكن من خلال الصورة تنوير المشاهد العربي. خاصةً فئة الشباب . عن ما تعاني منه الشعوب الغربية ، من قلق نفسي ، وحوادث انتحار ، وأزمات أخلاقية ، ومشكلات أمنية ، علماً بأن (سكان الولايات المتحدة الأمريكية الذين تبلغ نسبتهم 4% من سكان العالم يستهلكون 50% من كوكائين العالم ، وأن عشرات الملايين من سكان أمريكا شاذين جنسياً ، وأن نسبة اللقطاء من الأطفال المولودين أعلى منها في أيّ منطقة من العالم).[9]

كان حرياً بالقائمين على القنوات الفضائية العربية أن يتخذوا سياجاً من الإجراءات التي تحفظ للأمة العربية كيانها الثقافي ، وهويتها المتميزة ، خاصةً وأن (الدول الأوربية رغم التقارب الثقافي والاقتصادي بينها ، إلا أن كل دولة تبذل جهوداً كبيرة للحفاظ على هويتها الثقافية الخاصة ، هذا ما فعلته اليابان حفاظاً على ثقافتها وسلوكيات أبنائها ، وهذا ما فعلته فرنسا وكندا في وجه الغزو الثقافي الأمريكي).[10]

لكننا نجد آثار العولمة تخترق جدر القنوات الفضائية التلفزيونية العربية ، وتحيلها إلى جهة تابعة ، تدور في فلك الإعلام الغربي ، وكان المأمول أن يكون إليها الملاذ ، ويُبتغى منها العلاج لإخفاقات أجهزة الاتصال العربية .

الموقف من البث الفضائي (الإيجابيات والسلبيات) :

تبلور الموقف العربي حول البث التلفزيوني الفضائي المباشر عبر الأقمار الاصطناعية على رأيين ، فهناك من يرى أن لهذا البث العديد من المحاسن ، كما أن هناك آراء تقول بعيوبه.

فالذين يرون المحاسن يقولون إن هذا البث حقق بعض الفوائد ، وإنه يجب الثقة في وعي المواطن العربي ، وقدرته على الانتقاء ، فإن البرامج التي تقدم من الخارج ليست بالمستوى السيئ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يظنه البعض ، كما يجب الثقة في قدرات محطات التلفزيون العربية ، ويرون أن محاولات المنع تنتهي بالفشل.[11]

أما البث التلفزيوني على مستوى القنوات الفضائية العربية ، فلا ريب أن لانسياب المعلومات على نطاق دول العالم العربي الكثير من الإيجابيات ، لأنه يؤدي إلى تحقيق التواصل والتفاعل بين شعوب الدول العربية ، ويمكّنها من تبادل المعلومات والأفكار والتجارب . كما يؤدي إلى الإنعتاق من قيود الإعلام الرسمي ، الذي تحتكره الحكومات في معظم الدول العربية ، ومن ثم فقد أصبح باستطاعة المواطن العربي الاطلاع على ما يدور حوله في العالم، كما أصبح بإمكانه تطوير وعيه الثقافي والسياسي ، وتنمية معارفه ، وتوسيع مداركه ، وقراءة التغييرات في بلاده وبقية بلدان العالم برؤى مستنيرة .

كما أن القنوات الفضائية العربية مكنت من الحصول على المعلومات عن الأقطار العربية مباشرةً والقضاء على دور الوسيط والناقل غير الأمين ، كذلك أدى كثرة تلك القنوات وتنوع برامجها واستخدامها للغة العربية إلى استحواذها على غالبية المشاهدين العرب وشغلتهم عن متابعة القنوات الدولية الأخرى[12] .

وكذلك للبث المباشر عبر الأقمار الاصطناعية جدوى اقتصادية ، إذ أنه يغني عن إقامة الشبكات الأرضية ـ المكلفة ـ بغرض توصيل الخدمة التلفزيونية إلى المناطق النائية ، خاصة بالنسبة للبلاد شاسعة المساحة ، وذات التضاريس الصعبة.[13]

أما الذين يرون العيوب فيقولون أن البث الفضائي عبر الأقمار الاصطناعية يشيع أفكاراً وآيدولوجيات تهدد النظام الاجتماعي في الدول العربية ، فكثيراً ما تُبث صور وأفلام ومسلسلات تغرس أنماطاً شاذة من السلوك ، وتحمل قيماً تتنافى مع القيم الأخلاقية ، والتقاليد المرعية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا بالإضافة إلى ما يثيره هذا البث من المخاوف بالنسبة لحكومات الدول العربية بسبب بث برامج معادية لتلك الحكومات ، بما يهدد نظامها السياسي والأمني . وإنه بحكم ما لدى الدول الغربية من إمكانات تقنية ومادية تؤهلها للاستفادة من البث عبر الأقمار الاصطناعية ، فإن ذلك يؤدي إلى بروز رؤية واحدة تجاه الأحداث العالمية ، وهي الرؤية الغربية.[14]

أما عن استخدامات الدول العربية للبث التلفزيوني الفضائي عبر الأقمار الاصطناعية ، فإن القنوات الفضائية العربية لم تتمكن من الانفراد بشخصيتها المستقلة في أدائها ، ذلك بجنوحها إلى تقليد القنوات الفضائية الغربية ، ويظهر ذلك من خلال تركيزها على جوانب الترفيه والتسلية ، وبصفة أخص ، بث برامج الموسيقى ، والرقص ، والأفلام ، والمسلسلات . هذا يؤدي إلى تعزيز أسلوب الحياة الغربي ، كما يظهر من خلال القنوات الفضائية الغربية ، التي تسعى إلى بث المواد الدعائية بهدف تغيير نمط الحياة الاجتماعية في الدول النامية ، عن طريق زرع عادات جديدة تجعل من الغرب مثلاً يحتذى .

كما يعاب على القنوات العربية قلة إنتاجها واعتمادها على البرامج المستوردة من الدول العربية الأخرى أو من السوق العالمية ذلك أن اعتماد هذا العدد الهائل من القنوات على البرامج المستوردة من مصدر أو مصدرين في العالم العربي يؤثر على قيمة ووزن القناة ويجعلها قناة موصلة لثقافة الآخرين[15] .

ومن العيوب المحسوبة على البث المباشر أنه يشيع روح الإحباط ، كالإحساس بالفشل والإخفاق ، وعدم الاستطاعة واليأس ، وذلك يتأتى من خلال المقارنة بين واقع مواطني دول العالم الثالث ، ومظهر الحياة في العالم الغربي كما يصوره لهم التلفزيون.[16]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تغيير السياسة الإعلامية :

نظراً لانعكاس السياسة الإعلاميةعلى أداء وسائل الاتصال الجماهيري ، سلباً وإيجاباً ، لذا يجدر بنا توضيح العلاقة بين القنوات الفضائية العربية ـ كمفردة جديدة في الإعلام العربي ـ والسياسة الإعلامية ، وما أثرت به تلك القنوات من تحول في تلك السياسة ، وذلك باصطحاب ما أفرزته حرب الخليج .

رغم الكثير من التداعيات التي أدت إلى وجود القنوات الفضائية العربية ، كالتطور التقني في مجال الأقمار الاصطناعية على مستوى العالم ، وتمكن الدول العربية من الولوج إلى هذا المجال بإطلاق القمر الاصطناعي العربي ، ووجود جو من التنافس والتسابق في مجال الاتصالات ، وزيادة اهتمام الدول بوسائل الاتصال الجماهيري . إلا أن حرب الخليج الثانية ـ بين العراق ودول التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ـ تعتبر هي المحرك الأساسي لانتشار القنوات الفضائية العربية ، خاصةً في الدول الخليجية ، إذ خرج المواطن العربي إثر الحرب بقناعة تامة عن أهمية البث الفضائي ، كما أدركت الدول العربية أهمية ذلك أيضاً ، فبعد انتهاء الحرب لم تبق قناة واحدة على القمر الاصطناعي العربي إلا وقد استؤجرت لإحدى الدول العربية ، سواءً الحكومية منها أو غير الحكومية[17].

ولدت القنوات الفضائية العربية وسط تداعيات تلك الحرب ، فكان عليها أن ترقى إلى مستوى المسؤولية ، وتتحمل الكثير من الأعباء ، التي تتجاوز مجرد نقل الأحداث ، إلى ما وراء تلك الأحداث ، وما وراء الصور التي تنقلها من أبعاد ، كما عليها ـ لكي تنافس ـ أن تكسب ثقة الرأي العام ، وإن كلفها ذلك تبديل سياساتها الإعلامية .

لا شك أن ظهور القنوات الفضائية العربية قد ألقى بظلاله على السياسة الإعلامية في الدول العربية ، إذ أتاحت هذه القنوات ـ على اختلافٍ بينها ـ الفرصة لكشف الحقائق المستورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكثر من أيّ وقتٍ مضى ، وساعدت على فتق طوق الرقابة المفروض في معظم الدول العربية ، وعملت على كسب ثقة الجمهور العربي ، وإخراجه من حالة الإحباط التي تعتريه ، ودفعته إلى المشاركة بدلاً عن السلبية .كما ساعدت التقنية التي تستخدمها القنوات الفضائية العربية على تجاوز الحواجز ، والتعامل مباشرةً مع الجماهير ، مما أدى إلى تنشيط الرأي العام العربي تجاه القضايا والموضوعات التي تثار من حوله . كل ذلك جعل السياسة الإعلامية تتغير، فانتشرت البرامج التلفزيونية المباشرة . على الهواء . مما مكن المشاهدين من الإدلاء بآرائهم حول الموضوعات المطروحة في البرامج عبر الهاتف ، والفاكس ، والبريد الإلكتروني .

كما أن المنافسة القوية بين القنوات الفضائية عموماً ، والعربية منها على وجه الخصوص، أدت إلى لي ذراع الرقابة الإعلامية ، فاضطرت القنوات التي تشد بخطام الحرية الإعلامية إلى إرخائه نوعاً ما ، أملاً في كسب ثقة الجمهور .

ولكن رغم التغيرات التي حدثت في القنوات الفضائية العربية ، فلا يمكن تعميم ذلك على كافة قطاعات الإعلام العربي ، لأن تلك التغيرات لا تنطلق من قناعات راسخة لدى المسؤولين في الدول العربية تدعو إلى تحول فعلي في السياسة الإعلامية ، إذ أن تلك السياسة تعتبر جزء لا يتجزأ من السياسة العامة في الدول العربية . لذا فإن (الإعلام العربي مازال يتصف بالضعف في إقناع الرأي العام)[18] .

وثمة سبب يحد من فعالية تلك القنوات في التأثير على الجمهور ، وهو يتعلق بالقنوات العربية نفسها ، إذ أن معظم تلك القنوات ـ خاصةً الحكومية منها ـ لا تعتبر قنوات دولية بالمعنى الحقيقي ، وذلك بسبب اللغة المستخدمة وهي اللغة العربية التي تجعل الانتفاع من البرامج قاصراً على مواطني الدول العربية الذين يتحدثون بها كلغة أُم ، والقلة المتأثرة بالثقافة العربية أو المستعربة .

وعليه فعلى تلك القنوات تخطى حاجز اللغة بإدخال برامج موجهة ـ أو حتى تأسيس قنوات موجهة ـ بعدد من اللغات ذات الانتشار الواسع في العالم ، كاللغة الإنجليزية والفرنسية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغيرها ، خاصةً وأن الآيدولوجية الغربية بدأت تعمل على تأسيس قنوات غربية موجهة باللغة العربية مثل قناة (الحرة) مما يزيد من وطأة المنافسة ، ويعظم من ثقل المسؤولية على القنوات الفضائية العربية .

ولكي يتحقق ذلك ، فلابد أن يتم التخطيط له عبر سياسة إعلامية واضحة وفاعلة ، لذا يتوجب على القائمين على القنوات الفضائية العربية العمل الجاد من أجل تبديل السياسات الإعلامية الحالية بسياسات راشدة تتواءم والطفرة التي أحدثها التطور الهائل في مجال اتصالات الفضاء ، خاصةً وأن التحول الذي حدث في السياسة الإعلامية على مستوى الدول العربية ، كان بسبب ذلك التطور التقني ، لا بسبب قرارات ، أو برامج معتبرة صادرة من تلك الدول ، أو مؤسساتها الإعلامية .

منافسة الإعلام الغربي :

تعتبر الآن الفرصة مواتية ليقوم الإعلام العربي بالتأثير على الجمهور وتوجيهه وتحديداً فئة الشباب ، ليس لأنه أصبح يتعاطى مع التقنية الحديثة فحسب ، أو لأنه أحدث فتقاً في جدار الرقابة الإعلامية في الدول العربية ، إنما يمكنه أيضاً الاستفادة من ثغرات الإعلام الغربي الذي قلت مصداقيته تجاه معالجته للكثير من القضايا ، خاصةً تلك القضايا التي تعتبر مكان اهتمام الرأي العام العربي ، وعلى سبيل المثال القضية الفلسطينية ، وأخيراً تعاطيه مع الحملة التي قادتها أمريكا ضد ما أسمته بـ (الحرب على الإرهاب) والتي نجم عنها الهجوم على أفغانستان في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 التي دُمر فيها برجي مركز التجارة الدولي في نيويورك ، وجانباً من مبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) في واشنطن . إذ لم يفلح الإعلام الغربي . عند تناوله لتلك القضايا . في إقناع الرأي العام ، خاصةً في ظل معالجة الغرب للقضايا الدولية والإقليمية وفق معايير مزدوجة ، وإطلاق الاتهامات جزافاً دون أدلة مقنعة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عندما دخلت القنوات الفضائية العربية خضم المنافسة ، وبدأت تغطي الأحداث بما يخالف الرؤية الغربية ، لم يحتمل ذلك الغرب ، ولم يحتمل الحرية الإعلامية عندما أتت من مصادر غير غربية (أي عربية) .

ومن الشواهد التي يمكن الوقوف عندها لاستجلاء ذلك ، هو ما تعرضت له قناة الجزيرة الفضائية من ضغوط سياسية من خلال مطالبة عدد من أعضاء الكونجرس في الولايات المتحدة الأمريكية بإسكات صوتها إبان الحملة العسكرية على أفغانستان ، بمبرر تأثيرها على طريقة تغطية الحرب ، وكذلك ما تعرض له مكتبها في كابول من قصف من قبل الطائرات الأمريكية خلال تلك الحملة ، ومن قبل ذلك محاولة القرصنة على موقعها في شبكة الإنترنت مما أدى إلى إيقافه فترةً من الزمن[19].

وهناك سبباً آخراً يستجلي تعامل الغرب مع الحرية الإعلامية ، إذ أن وسائل الاتصال الجماهيري في الغرب (إذاعة وصحافة وتلفزيون) التي يمتلكها أفراد ، تعكس ـ بدرجات متفاوتة ـ اهتمامات ومصالح أصحابها السياسية والاقتصادية ، كما أن وسائل الاتصال الجماهيري التي تمتلكها مؤسسات خاصة ، قد تتحول إلى وسائل للكسب السريع وجمع الأرباح على حساب الأهداف الإعلامية . لذا فالحرية المطلقة للإعلام ، في أي دولة من الدول ليست إلا خرافة ، ولا وجود لها على الإطلاق[20].

تلك الشواهد تدخل في سياق مدى إيمان الغرب وتعامله مع الحرية الإعلامية ، على الأقل في ظل ما يعرف بالنظام الدولي الجديد ذا القطب الواحد .

لم يعد خافياً على شعوب العالم ، والشعوب العربية على وجه الخصوص ، أن للإعلام الغربي أجندة باطنة يسعى إلى تحقيقها ، مستغلاً في ذلك التقنية العالية ، والإمكانات المادية الضخمة ، والأوضاع السياسية المواتية . ويعتبر الكثير من الباحثين أن تلك الأجندة ذات مرامي ثقافية واستعمارية ، خاصةً وأنها أصبحت أكثر وضوحاً في أعقاب حرب الخليج .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الواقع وصفه Philip Taylor بإمبريالية الإعلام Media Imperialism، أو الاستعمار الإلكتروني Electronic Colonialism ، أو الاستعمار الثقافي Cultural Media Colonialism ، إذ أن الدول التي تمتلك التقنية المتطورة هي نفسها التي تقف على رأس ما أطلق علية منذ التسعينات الميلادية (النظام العالمي الجديد) . وقال Taylor إن حرب الخليج أكدت هيمنة الإعلام الأنجلو أمريكي ، وبلغت إمبريالية الإعلام حداً أوضح لدول العالم الثالث قدرة التحالف الغربي على توصيل رسالة عسكرية بوسائل تكنولوجية ، وقدرت على السيطرة على أنظمة الاتصال ، وهذا يبين أن النظام الإعلامي الجديد لا ينفصل بحال عن النظام العالمي الجديد[21].

كانت تلك الشواهد والتداعيات ضمن جملة من المعطيات التي أتاحت الفرصة للقنوات الفضائية العربية كي تنافس ، وتحد من سيطرة الإعلام الغربي على وسائل الاتصال ، و احتكاره للمعلومات . وكمثال لذلك (أن هناك أربع أو خمس شركات مثل : والت ديزني ، و فياكون ، و تايم ورنر ، و روبرت مردوم ، و سوني في الولايات المتحدة تسيطر على وسائل الاتصال المختلفة ،وهذه الشركات تحتكر وسائل الاتصال على مستوى عالمي أيضاً ، ما حدث الآن أن القنوات الفضائية العربية تعدت ونافست هذا الاحتكار الإعلامي لهذه الشركات متعدية الحدود)[22].

وبعقد مقارنة بين قناة CNN كمثال للقنوات الغربية ، وأكثرها وصولاً للمنطقة العربية ، وقناة الجزيرة كمثال للقنوات العربية ، من خلال التغطية الإعلامية لحرب الخليج الثانية عام 1990م ، والحرب الأفغانية عام 2001م ، ومع الأخذ في الاعتبار أن معظم القنوات العربية تم تأسيسها بعد حرب الخليج ، والتي أُسست قبلها كانت في بداياتها ، ولم تخرج إلى دائرة المنافسة بعد ، لذا سيطرت القنوات الغربية وعلى رأسها قناة CNN . التي قامت بتغطية تلك الحرب . على الأخبار المصورة ، بل أصبحت مصدراً رئيساً للعديد من القنو ات الفضائية في العالم ، ومن ضمنها القنوات الفضائية العربية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يدل على تأثير شبكة CNN ، وغيرها من القنوات الفضائية الغربية على المشاهد ، وصْف البعض لحرب الخليج بأنها ((حرب أعين مثبتة على شاشات التلفزيون)) . ويذهب Philip M. Taylor في دراسة له عن الحرب ووسائل الاتصال وأدوارها .. تطبيقاً على حرب الخليج ، إلى أن هذه الحرب هي اللعبة التي أدارها عسكريون ، وسياسيون ، وإعلاميون بنجاحٍ كبير[23].

لكن اختلف الحال إبان الحرب الأفغانية ، إذ دخلت القنوات العربية ، وعلى رأسها قناة الجزيرة غمار المقلة ، وأصبحت مصدراً رئيساً للأخبار عند المشاهد العربي ، وبديلاً لقناة CNN ، وكما نقلت قناة CNN الدقائق الأولى لحرب الخليج ، فقد نقلت قناة الجزيرة الدقائق الأولى للحرب الأمريكية على أفغانستان ، بل أصبحت قناة CNN ترجع إلى الجزيرة لتوثيق بعض معلوماتها [24] ، إذ حققت الجزيرة نجاحاً في عكس صورة تلك الحرب من خلال إبراز صور المدنيين الذين قصفتهم الطائرات الأمريكية في القرى والمساجد والمستشفيات وقوافل المسافرين في أفغانستان ، كما عرضت صور الطائرات الأمريكية التي أسقطتها قوات طالبان في بداية الحرب ، وبذلك ساعدت على قشع سحابة التعتيم الإعلامي ، الذي اعتادت القنوات الغربية ممارسته لصالح بلدانها ، إذ يبدو ذلك التعتيم واضحاً من خلال نقل تبريرات الإدارة الأمريكية لقتل المدنيين ، أو حتى من خلال الصياغة اللفظية للأخبار ، وغير ذلك .

الإنترنت وتأثيره على الشباب

الانترنت كوسيلة اتصال جماهيري حديثة أخذت مكانها بين تلك الوسائل وتميزت بخصائص جعلتها تقدم الكثير من المنافع لبني البشر ، لكن كغيرها من الوسائل كان لها أيضاً الكثير من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستخدامات السالبة ، خاصة بين فئة الشباب الأكثر زيارةً لمواقع الانترنت وتحديداً تلك المواقع المتعلقة بالألعاب والأغاني و التسالي والدردشة ..... الخ .

إن انتشار الحاسوب وتغلغل شبكة الإنترنت في مختلف مجالات حياتنا لابد وأن تترك آثاراً على مختلف الأنظمة الاجتماعية، والثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، لذا كان علينا أن نعي هذه التغيرات التي تحدث في مجال الحاسوب و التكنولوجيا وشبكة الإنترنت خاصة، ومن ثم وضع أساليب مناسبة للتعامل معها .

في غالبية الدول نجد أن التطور في مجال التكنولوجيا وعلم الحاسوب يسبق التطور في المجالات الأخرى ، هذه الحقيقة تؤدي في كثير من الأحيان إلى مسايرة الأنظمة الاجتماعية للتطور الحاصل في مجال الحاسوب وليس العكس . ويبقى التحدي القائم أمام المجتمعات العربية والدول النامية عموماً هو الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا أكثر من توفيرها .

وفي كل الأحوال تبرز جوانب إيجابية وأخرى سلبية ناجمة عن دخول شبكة الإنترنت إلى حياتنا يمكن أن نتناول بعضاً منها فيما يلي :

أولاً : إيجابيات شبكة الإنترنت :

اتاحة ونقل المعلومات :

تكونت شبكة الانترنت نتيجة لربط وتوحيد شبكات عديدة ومختلفة موجودة في جميع أنحاء العالم ، هذا التوحيد أدى إلى أن يكون كل مستخدم قادر على الوصول إلى كمية أكبر من المعلومات . لأنه أصبح بإمكانه استخدام الشبكات العديدة الأخرى والتي تحتوى على معلومات إضافية غير تلك الموجودة في الشبكة التي يتبع لها ، التنافس المستمر بين الشركات العديدة على اكتساب أكبر عدد من مستخدمي شبكة الإنترنت وأيضاً اكتساب ثقتهم يؤدي إلى تطوير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقديم خدمات قيمة لهؤلاء المستخدمين. أحد المقاييس لنجاح وشهرة موقع ما هو عدد زوار الموقع . لذا نرى خدمات عديدة في مواقع كثيرة يستطيع الزائر استخدامها دون أن يطالب بثمن لذلك، ومن ذلك على سبيل المثال خدمات الوصول إلى المعلومات المطلوبة (خدمات للبحث عن المعلومات) وأخرى تهدف إلى تقوية وتسهيل الاتصال بين مستخدمي الشبكة منها البريد الالكتروني الذي يعتبر أكبر خدمة تقدمها شبكة الانترنت .

بنوك المعلومات :

بنوك ومجمعات المعلومات في شبكة الإنترنت موجودة تقريباً في جميع المجالات وتغطي غالبية المواضيع ، فعلى سبيل المثال يمكن الدخول إلى مواقع تحتوي على القرآن الكريم بأكمله والأحاديث النبوية الشريفة في مجمع معلومات والبحث عن المعلومة المطلوبة التي يمكن استخدامها بسهولة وبشكل حر ، مما يزيد من التساؤل عن مدى ضرورة شراء هذه الموسوعات والقواميس كمرجع بيتي .إن كمية ونوعية المعلومات الموجودة في مجمع معلومات وسهولة استعماله تعتبر من أهم العوامل التي تساعد على نجاح وشهرة هذا المجمع، عليه يمكن استغلال مجمعات المعلومات في العملية التعليمية والتثقيفية في المدارس والمعاهد .

الانترنت كحقيبة معلومات متنقلة:

يمكن الاستفاده من الإنترنت كحقيبة معلومات شخصية متنقلة مع المستخدم، لأن كل شخص قادر على بناء موقع يتضمن المعلومات التي يريدها ، ولأنه قادر على الوصول إلى هذا الموقع من أي مكان في العالم (بالطبع بشترط أن يكون لديه حاسب وخط اتصال) وعليه فلا حاجة لمن يسافر لأي بلد لأن يحمل معه حقيبة من الأوراق التي تحتوي على المعلومات الخاصة بمؤتمر مثلاً أو ورشة عمل أو اجتماع ... الخ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعدد الوسائط في الشبكة :

الشبكة العنكبوتية العالمية **World Wide Web** تعتبر أكبر شبكة حاسب من بين الشبكات المكونة لشبكة الإنترنت، تسمح هذه الشبكة بإظهار المعلومات بأشكال مختلفة، أي بوسائط عديدة **Multi Media** (نصوص ، صور ، رسومات، صوت ... الخ)، مما يساعد في نشر المعلومات بشكل واضحوواف ٍ وممتع ، لذا فهي تعتبر أشهر شبكة لمستخدمي الإنترنت.

مجموعات الحوار والمحادثة:

يمكن استغلال مجموعات الحوار لتبادل الأفكار مع أشخاص آخرين وأيضاً من أجل طرح الأسئلة على مجموعة خبراء والحصول على مساعدة في المجال المطروح . ويوجد مجموعة حوار مغلقة وأخرى مفتوحة لكل من يريد الاشتراك في الحوار .

أنظمة المحادثة تسمح بالمكاتبة المباشرة وكذلك المحادثة الصوتية والمصورة بين الأشخاص في مواضيع مختلفة، ورغم أن الهدف السائد في أنظمة المحادثة هو التعارف . إلا أنه يمكن استخدام مجموعات الحو ار كحلقة دراسية في مجال التعليم ، أو أي موضوعات ثقافية وفكرية .

ثانياً : سلبيات شبكة الإنترنت

الإباحة وصعوبة الرقابة :

إن ظهور شبكة الإنترنت كنتيجة لتوحيد شبكات عديدة يبرهن على أن هذه الشبكة عالمية لا تتبع لدولة ، أو مؤسسة أو شخص ، هذه الحقيقة توضح أن نشر المعلومات عبر الشبكة لا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمر على أي نوع من الرقابة. بذلك يكون كل شخص قادراً على نشر ما يريد من المعلومات في موقع خاص به بسرعة وسهولة وحتى بدون أن يدفع مقابلاً لنشر هذا الموقع. لذلك نجد في شبكة الإنترنت الكثير من المواقع غير المقبولة عند الأنظمة الاجتماعية الصالحة، منها مثلا مواقع العنف، مواقع الجنس، مواقع عنصرية وغيرها من المواقع التي يجب أن تكون ممنوعة في مجال التربية والتعليم وبالتأكيد في جميع المجالات الأخرى، حل هذه المشكلة ليس سهلاً. لذا لا نجد حتى الآن حلولاً ناجحة لها، تسمح باستخدام شبكة الإنترنت في المدارس مثلاً وتمنع في نفس الوقت الطلبة من الوصول إلى هذه المواقع غير المرغوبة.

الإدمان :

الشعور بالحاجة الملحة إلى الإبحار في شبكة الإنترنت يحدث عند الكثير من المستخدمين، هذه الحاجة تعتبر إحدى ظواهر الإدمان على الشبكة و كما أنه يوجد أشخاص مدمنون على التلفاز ، ليس غريبا أن نجد أشخاصاً مدمنين على شبكة الإنترنت . بالطبع يصحب الإبحار في شبكة الإنترنتاستهلاك وقتاً طويلاً ، و قلة الحركة التي من الممكن أن تؤدي إلى مشاكل جسدية بسبب الجلوس غير الصحي أمام الحاسب أو إلى مشاكل في النظر بسبب الأشعة الناتجة عن الشاشة .

العزلة :

عند العمل في شبكة الإنترنت يجلس المستخدم عادة وحيداً أمام الحاسب، ويمكن أن يقضي ساعات طويلة تعزله عن المجتمع القريب والبعيد ، فالإبحار في الشبكة مصحوب بعزلة خاصة عن المجتمع المجاور (العائلة والأصدقاء)، مما قد تؤدي في حالات كثيرة إلى مشاكل اجتماعية تتمثل في صعوبة الاتصال والتعامل مع المجتمع المحيط ، وأخرى نفسية تتمثل في الانطواء على النفس .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاعتقاد بأن المعلومات على الشبكة دوماً صحيحة:

نلاحظ في كثير من الأحيان أن بعض متصفحي شبكة الإنترنت يعتقدون بأن المعلومات الموجودة على الشبكة هي دوماً صحيحة ويمكن الأخذ بها دون التأكد من صحتها ومن صحة مصدرها، هذا الافتراض غير صحيح، فهناك الكثير من المعلومات الخاطئة على الشبكة، ولذا يجب التأكد دوماً من مصدر هذه المعلومات.

التوصيات :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : معالجة أوقات الفراغ لدى الشباب فالفراغ داء قتَّال للفكر والعقل والطاقة البدنية ، إذ النفس لا بُدَّ لها من حركة وعمل ، وعلاج المشكلة هو تأسيس برامج تستهدف ملء الفراغ الذهني والروحي و الفكري .

ثانياً : الإعلاء من قيمة العمل الجماعي وإثراء روح المشاركة عن طريق تنظيم المسابقات العلمية والرياضية بهذف إخراج الشباب عن العزلة والانطواء .

ثالثاً :العمل على إصلاح أجهزة الإعلام للقيام بدورها التربوي والتوجيهي والإرشادي والنظر إلى عدم التوازن الحالي بشي ْ من العلمية مراعين احتياجات الجمهور بعيداً عن اللا مبالاة والتقليد .

رابعاً : العمل على رفع الروح المعنوية لدى الجمهور العربي والخروج به عن الاحباطات التي تلعب وسائل الإعلام دوراً كبيراً في ترسيخها .

خامساً : وضع برامج علمية منظمة تستهدف الاستخدام الأمثل للتقنية التي أصبحت متاحة للأغناء والفقراء بهدف الإثراء العلمي والثقافي .

سادساً : ترسيخ مفهوم الرياضة على أنها تستهدف صحة البدن والعقل واكتساب المهارات لإعداد الإنسان السوي السليم وليست لإثارة العصبية وتحطيم الروح المعنوية وصرف الشباب عن مواجهة قضاياه الأساسية .

المراجع :

1. عبد الله بن ناصر الحمود : التأثير المتوقع للبث التلفزيوني المباشر على الأطفال وسبل المواجهــة ، الكتاب السنوي لكلية الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامية ، العدد الأول ، 1413هـ - 1992م ، بحث قامت بنشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ص 205 .
2. د . راسم الجمال : مقدمة في وسائل الاتصال .. الأقمار الصناعية ووظائفها الاتصالية ، مكتبة مصباح ، جدة ، الطبعة الأولى ، 1409هـ - 1989م ، ص 214 .
3. تجربة بين تونس وجيبوتي على القمر العربي . مجلة الإذاعات العربية ، العدد 4 ، أكتوبر 1985م ، ص 16 .
4. أنور ماجد عشقي : الإسلام ومقتضيات العصر ، مكتبة التوبة ، الرياض ، 1413/6/2هـ ، ص 39 ، 41 .
5. جيهان أحمد رشتي وآخرين : القنوات الفضائية التلفزيونية لدول الخليج العربي .. واقعها ومستقبلها ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد 52 ، السنة الثالثة عشر ، صـــيف 1998م ، ص 226 .
6. د. راسم الجمال : مقدمة في وسائل الاتصال .. الأقمار الصناعية ووظائفها الاتصالية ، مكتبة مصباح ، جدة ، الطبعة الأولى ، 1409هـ - 1989م ، ص 181 .
7. محمد فالح مبروك الجهني : سوبر مان يجندل عنترة ، و (بوباي) يخنق سندباد ! ، مجلة المعرفة ، العدد 48 ، ربيع الأول1420هـ - يونيو / يوليو 1999م ، ص 146 - 147.
8. عبد الوهاب بلقيز : العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 229 ، مارس 1998م ، ص 95 - 96.
9. أ.د. أسعد السحمراني ، نحن والعولمة ، مجلة الموقف ، العدد 142، أغسطس 1999م - ربيع الثـاني 1420هـ ، ص 40 - 41 .
10. د . نبيل السمالوطي : البث المباشر والهوية الثقافية .. أدبيات القضية ومحاولات التفسير ، مجلة البيان ، السنة العاشرة ، العدد 91، ربيع الأول 1416هـ - أغســطس 1995م ، ص 90 .
11. د . مصطفى المصمودي : الأساس الإعلامي للنظام العربي الجديد .. حول تأسيس نظام عربي جديد ، منتدى الفكر العربي ، عمان ، الطبعة الأولى ، نوفمبر 1992م ، ص 287 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12.بروفيسور / علي محمد شمو : تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات ، دار القومية العربية للثقافة والنشر ، 1999م ، ص 240 .
13.الدكتور / فاروق أبوزيد : العالم العربي ومخاطر برامج التلفزيون الأجنبية ، مجلة الدراسات الدبلوماسية ، العدد التاسع ، 1412هـ - 1992م ، وزارة الخارجية السعودية - معهد الدراسات الدبلوماسية ، ص 151-152 .
14.نفس المصدر ، ص 152-153 .
15.بروفيسور / علي محمد شمو : مرجع سابق ، ص 243 ، بتصرف .
16.د . كرم شلبي : البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية ، مجلة الدراسات الدبلوماسية ، وزارة الخارجية - المملكة العربية السعودية ، العدد الخامس ، 1408هـ - 1988م ، ص 138 .
17.د . علي بن محمد النجعي : الإعلام مفاهيم ، مطبعة سفير ، الرياض ، الطبعة الثانية ، 1417هـ - 1996م ، ص 138 ، 141 .
18.د . جمال الدين عثمان : الفضائية السودانية ، برنامج حديث الساعة ، السبت 2001/11/24م .
19.د . إبراهيم ناجي علوش (جمعية مناهضة الصهيونية والعنصرية) : قناة الجزيرة ، برنامج الاتجاه المعاكس ، حلقة يوم الخميس 2001/11/22م ، الساعة 19.06 بتوقيت قرينتش .
20.د . علي بن محمد النجعي : مصدر سابق ، ص 29 ، 30 .
21. Philip M. Taylor : War and The Media .. Propaganda and Presentation in the Gulf War , Manchester University Press , London , 1992 , P. 260.
22.د . إبراهيم ناجي علوش : مرجع سابق .
23. Philip M. Taylor : Op. Cit . P. 9 .
24.د . إبراهيم ناجي علوش : مرجع سابق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com